



سينا

في كتابه «أفلام البلوك بستر والعالم القديم: العجاز والحرب في هوليوود المعاصرة»، يستكشف المؤلف كريس دافيس الحورة الحالية من ملاحم العالم القديم في السينما ضمن الصاخ الاجتماعي والسياسي الناشئة عن اعتداءات 11 أيلول 2001

زيادته

يلاحظ مشاهد الأفلام أنه بعد عرض فيلم ريدي سكوت «غلابايتر» (2000)، شهدت ملاحم العالم القديم انتعاشاً لدى الجمهور واستوديوهات السينما. كتاب «أفلام البلوك بستر والعالم القديم: الحان الحرب في هوليوود المعاصرة» (Blockbusters and the Ancient World: Allegory and Warfare in Contemporary Hollywood

بلوسبيري - 2019) الذي يتخلق من الدراسات الأكاديمية السابقة عن أفلام ملاحم أو ملاحم حقية الحرب الباردة في خمسينيات القرن الماضي وستينياته، بما في ذلك أفلام «بن هور» و«سبارتاكوس» و«الرداء»، يستكشف الدورة الحالية لملاحم العالم القديم في السينما ضمن المناخ الاجتماعي والسياسي الناشئ

في ظلّ أحداث 11 أيلول 2001. يقوم مؤلف الكتاب كريس دافيس العلاقة بين السينما السائدة والمجتمع الأمريكي من خلال تصوير العالم القديم والصراع والإيمان، اعتمادا على دراسة الأفلام المنتجة على خلفية الحرب على الإرهاب والغزوات اللاحقة للعراق وأفغانستان. كما يستكشف كيف تثير هذه الأفلام صورا عن الحرب العالمية الثانية وحرب فيتنام والكابوي في تصوير الحرب في العالم القديم، وذلك يناقش تأثير «نظرية التهجين» والسرد والاستقبال، ويتساءل عن مدى استخدام ملاحم العالم القديم للرمز والقياس والتلميح إلى الماضي والحاضر المتوازين في صناعة تلميها في الغالب قوى السوق.

الكتاب - أستناد محاضر في مادة دراسة الأفلام في «جامعة إكستر» البريطانية - يتعامل مع مجموعة من أفلام الملاحم ومنها «الإسكندر» و«طرودة» و«300» و«القائد المئة» و«الأم المسيح»، وغيرها، مقدّماً نظرة جديدة إلى التطور المستمر لملاحم العالم القديم في السينما. يبدأ الكاتب باقتباس من مقالة إميليا أرتياس (1953) و«سبارتاكوس» (1960) و«كليوباترا»

«الفسار والسيرك: غلابايتر ومشهد الفضيلة» حيث تقول: «هذه الروايات القديمة لا تتعلق في النهاية بباراهام أو بن هور أو بسبارتاكوس أو بماكسيموس أو بشهداء مسيحين مجهولي الهوية ومئات القادة العسكريين المتحولين عن دينهم، لكن عن انفسنا، أو على نحو أكثر تحديداً، عن مُثلنا التي يتم تقديمها قديماً ملائماً في مظهر مذهل لكنه بعيد عن الأنظار وتؤكد سلطة الماضي». يقول الكاتب إنها تمثل وجهة نظر شائعة في النقد العلمي لملاحم العالم القديم في السينما، الافتراض القائل بأن الأفلام من هذا النوع هي أكثر عن الفترة والثقافة التي يتم إنتاجها منها عن تلك التي يصورونها. على سبيل المثال، يفتح جيفري ريتشاردن - أحد أهم علماء تاريخ الثقافة ونقاد الأفلام - دراسته حول هذا الموضوع بالقول: «إن الأفلام التاريخية هي دائماً عن الوقت الذي صنعت فيه ولا تتعلق أبداً بالوقت الذي تم إعداده فيه». لكن صاحب هذا المؤلف يستدرك بالقول: «في الممارسة، فالمعنى في ملاحم الفيلم القديم نادرا ما يكون واضحاً. فتفسير النص السينمائي يتأثر بالأفراد المشاركين في إنتاجه وفي التسويق وفي الاستقبال وفي روح العصر المعاصر وفي دوافع المؤلف وفي مواد المصدر والاستجابة الشخصية للمشاهد».

باعتدام منظور متعدّد الختلاف، يقوم هذا المؤلف إلى أي مدى تتفاعل ملاحم العالم القديم الحديثة مع حاضرها أو تجسد موضوعات متكررة في التاريخ والنوع نفسه، وبالتالي يستكشف كيف تطورت الأفلام التي أنجزت بعد فيلم «غلابايتر» مع التركيز على علاقتها بدور الملاحم في منتصف القرن العشرين ودور الحرب في تسهيل التغيير.

يقول الكاتب: «تمتلك ملاحم العالم القديم حوداً من كونها أعمالاً للفن السينمائي ومنتجات صناعة التكايف ونتاج مجموعة من المواضيع. اما البحث في هذا المؤلف، فقد تجاوز جوانب من التحليلات التاريخية. وقد حار العلماء من مختلف التخصصات كونها نصوصاً متعددة التكايف ونتاج مجموعة من المواضيع. كيّفن كوستنر وميل غيبسون وجيمس كايرون وغيرهم ممن تشكلت هوياتهم في طفرة المواليد بعد الحرب العالمية الثانية وأضحوا أبناء في تسعينيات القرن الماضي وكان النظر مجدداً. أنواع طولّلتهم الخاصة نوعاً من النوستالجيا.

يواصل الكاتب استعراض الأعمال الملحمية قائلاً: «بالمثل، يمكن تطبيق هذه النظرية على المخرجين الحاليين مثل ج. جي أرماز، والأخوين باقر الذين أقروا بأن جنهم أطفالاً لأفلام الخيال العلمي في سبعينيات القرن الماضي وثمانينيات أثر في عملهم في هذا النوع من الأفلام. على سبيل المثال، قال غيبسون إن فيلم «قلب شجاع» هو خليفة طبيعي لفيلم «بن هور» و«سبارتاكوس».

1963). لكن شعبية ملاحم العالم القديم تلاثت خلال الستينيات بسبب مجموعة من العوامل بما في ذلك ارتفاع تكاليف إنتاج ملاحم هوليوود وتخفيف الرقابة في الولايات المتحدة التي حفّزت على تزايد ثقافة الشباب المضادة التي يتم جذبها إلى مجموعة جديدة من المخرجين فقد كان السوق مشبعاً بملاحم رجل العضلات الإيطالية التي تم إنتاجها بـمُن بخس وأسهمت في أن تصبح ملهمة الماضي وثمانينياته عبر إنتاج مسلسلات تلفزيونية مثل «مسعدة» (1981) و«تكيف» أو اقتباس مارتن سكورسزي رواية نيكوس كازانتراكيس «الأغواء الأخير للمسيح» (1988). كما أشارت الأنواع الأخرى بالمثل إلى ملاحم محاكاة ساخرة: الأكثر شهرة في هذا النوع فيلم «حياة براين» (1979). لكننا نرى أن العالم القديم لا يزال موجوداً في سبعينيات القرن الماضي وثمانينياته عبر إنتاج مسلسلات تلفزيونية مثل «مسعدة» (1981) و«تكيف» أو اقتباس مارتن سكورسزي رواية نيكوس كازانتراكيس «الأغواء الأخير للمسيح» (1988).

شهدت ملاحم العالم القديم انتعاشاً بعد فيلم «غلابايتر» (2000) وحتى اليوم، لا يكتمل عيد الفصح أو عيد الميلاد في المملكة المتحدة من دون عرض فيلم «بن هور».

شهدت تسعينيات القرن الماضي أيضاً تجديد الاهتمام بالملاحم التاريخية بإنتاج مجموعة من الأفلام منها «الرقص مع الذئاب» (1990)، و«قلب شجاع» (1995)، و«إبقت الخندي رايا»، (1998) و«تابتانيك» (1997)، ما أفسح في المجال لفيلم «غلابايتر» لريديلي سكوت. وهناك رأي بأن هذه الدورة نتاج مجموعة من السينمائيين مثل كيفن كوستنر وميل غيبسون وجيمس كايرون وغيرهم ممن تشكلت هوياتهم في طفرة المواليد بعد الحرب العالمية الثانية وأضحوا أبناء في تسعينيات القرن الماضي وكان النظر مجدداً. أنواع طولّلتهم الخاصة نوعاً من النوستالجيا. يواصل الكاتب استعراض الأعمال الملحمية قائلاً: «بالمثل، يمكن تطبيق هذه النظرية على المخرجين الحاليين مثل جي. جي أرماز، والأخوين باقر الذين أقروا بأن جنهم أطفالاً لأفلام الخيال العلمي في سبعينيات القرن الماضي وثمانينيات أثر في عملهم في هذا النوع من الأفلام. على سبيل المثال، قال غيبسون إن فيلم «قلب شجاع» هو خليفة طبيعي لفيلم «بن هور» و«سبارتاكوس».

وفي حين أن غالبية الملاحم التاريخية التي أنتجت خلال التسعينيات كانت تستهدف جمهور المراهقين والبالغين - بحسب الكاتب - بدأت ملاحم العالم القديم بالعودة عبر أفلام الرسوم المتحركة الموجهة للمشاهدين الصغار، ومنها فيلم «هرقل» (1997) والمسلسل التلفزيوني «هرقل: الرحلات الأسطورية» (1995 - 1999)، و«زينبا: الأميرة المحاربة» (1995 - 2001). مع ذلك، عادت ملاحم العالم القديم بالكامل إلى شاشات السينما مع إطلاق فيلم «غلابايتر» للندن لسابقته على نحو عام، ولا سيما «سقوط الإمبراطورية الرومانية» (1964)، و«سبارتاكوس»، لكنها استكملت السرد السابق وحذّثت جمالية هذا النوع لجذب الجماهير المعاصرة المتخ والتر باركنس قال عن تلك الإنتاجات «إنهم أرادوا تجنب دالاتها التي خلفتها الأفلام مع مجموعات من الرجال الذين يرتدون التنانير والصفال». وشمل ذلك كتم ألوان دورة الخمسينيات والستينيات مع تنمية شخصيات الأفلام وإزالة الإشارات العلفية إلى الروايات الكتابية أو المسيحية وتصعيد العنف في أعقاب فيلم «نقاد الجندي رايا».

كما تعامل الكاتب مع مجموعة من المصطلحات التي وظفها في مؤلّفه ومنها الرمز/ الحان/ الاستعارة، مستعيناً بتعريف إسماعل كزافيه أستاد السينما في البرازيل وصاحب مؤلف عن المادة الذي قال: إن الرمز يجسد مفهومًا أو فكرة أو أخلاقاً مخفية ضمن نص، ويجادل بان قدرة الرمز على إخفاء المعنى في النص الفرعي، قد مكّنته من اكتساب أهمية خاصة خلال الفترات التي تمارس فيها السلطات الاستبدادية السيطرة على نشر الصور والنصوص وأشكال التعبير الأخرى. كما يسمح الرمز بنقل الرسائل إلى جمهور معين في حين أن أولئك الذين قد يعارضون الرسالة إما غير مدركين أو غير قادرين على إثبات وجودها. من ذلك، إن فهم الجمهور المستهدف الرسالة الخفية يتطلب التفاوض مع الوعي والفهم المتبادلين من كل من الكاتب والقارئ. أما الأكاديمي الأمريكي المتخصص في الميديا، دانيال هيربرت فلاحظ أن تحليل الرموز لا يزال يمثل مشكلة، أي تحديد ما إذا كانت النصوص مجازية أم أنها أصبحت كذلك من خلال التفسير المجازي.

إضافة إلى ما سبق، يلاحظ الكاتب أن خلق المعنى في السينما يتطلب الكيمياء بين نوايا الكاتب وجودول أعمال الناقد، وأن الرمز والمحاوّل لا يقتصران على العوامل السردية، إذ يمكن العثور عليهما أيضاً في المشهد الصوتي والموسيقى التصويرية والتحرير، ما يجعل بلخص الكاتب محنّو مؤلفه العام بالقول: «تتضمن ملاحم الخمسينيات والستينيات عادة الإيمان كمحفّز للتغيير، لكن في دورة ما بعد «غلابايتر»، تم استبدالها بالعنف،

وتحديداً في سياق الحرب». بعدها، يتنقل المؤلف إلى تلخيص فصول كتابه قائلاً: «من ستون «الإسكندر» (2004)، أصبحت الجمالية «الحرب والإمبراطورية: ملاحم العالم القديم وأفلام القتال والنوع» الاتفاق العام لملاحم العالم القديم النابعة من دورة الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي، وكذلك تطور

دراسة الافلام المنتجة على خلفية الحرب على الإرهاب وغزو العراق وأفغانستان

الفيلم القتالي من الخمسينيات فصاعداً. يمكن موازاة تطور ملهمة العالم القديم منذ 11 أيلول مع تطور الفيلم القتالي من أجل تسليط الضوء على تهجين النوع».

الكاتب الفصول اللاحقة للحديث عن الملاحم اليونانية والرومانية والدينية، قائلاً: «مع أن هذه الفروق تساعد من حيث الواضح عند مناقشة الأفلام وإثاحة المفارقة السهلة، إلا أنها تتبع أيضاً ثلاثة فروع عريضة في ما يتعلق بالحروب في العراق وأفغانستان والحرب الأوسع على الإرهاب. أما الملاحم

اليونانية الرئيسة الثلاث التي يناقشها الكاتب فهي «طرودة» و«الإسكندر» و«300»، وتصور القصص التي تركز على الغزوات الملحمة الرومانية «ملك آرثر» و«الفيلق الأخير» وقائد المئة» و«النسر» جميعها تصور قصصاً عن الاحتلال؛ أما الملاحم الدينية «اغورا» و«الأم المسيح» و«نوح» و«سفر الخروج: الهة وملوك» و«بن هو»، فتتعامل مع الإيمان والصراع الديني.

الفصلان الثاني «زمن أخيلس: الذاكرة والحرب في فيلم «طرودة» والثالث «الحالمون يرهقونا: القاصون وأفلام القتال في الإسكندر»، يبحثان في تأثير الفيلم القتالي في الروايات المدفوعة بالحرب مثل فيلمي «طرودة» و«الإسكندر». الفصل الرابع (هل هذه إسبرطة؟ الحرب والحرية وأميركا في فيلم 300)، يناقش تأثير الفيلم القتالي في الرواية المدفوعة بالحرب عبر تحليل فيلم «300».

الفصل الخامس (سياسة الجسد: الهة ورجال وحوش في 300 والملحمات الميثولوجية الإيمانية والهول والبرويو غندا في فيلم «الأم الإغريقية») يوسع النقاش في فيلم «300» لتقويم حالة الفيلم كإقتباس لرواية مصورة ما يتعلق بالحروب في العراق وأفغانستان ذلك فيلم «خالدون» (2011) و«صراع الجبابرة»

الثانية من ملاحم العالم القديم التي وصلت في عام 2014. بما في ذلك استمرار الملحمة اليونانية المئاتر بنوع الأفلام عن الإغريق والرومان، مع إنتاج أفلام «هرقل» و«أسطورة هرقل» و«300» صعود الإمبراطورية» وفيلم الكوارث الروماني «يومي» وكذلك عودة الملحمة التوراتية في فيلمي «نوح» و«سفر الخروج: الهة وملوك» اللذين مهّدا الطريق لفيلم «البعثات» و«بن هور» في عام 2016. في تحليل هذه المجموعة الأخيرة من الأفلام معاً، تخلق صورة واضحة عن كيفية تطور هذا النوع من المواضيع بشكل جمالي منذ ذلك الحين منذ نهاية الحرب على العراق.

عند تحليل المؤلف تلك الأفلام جمعياً، يقدم الكاتب نظرة شاملة على إحياء ملاحم العالم القديم في أعقاب فيلم «غلابايتر» بهدف استكشاف علاقتها بالمناخ الاجتماعي والسياسي الذي تم فيه إنتاج هذه الأفلام ودراسة علاقتها بدورة الخمسينيات والستينيات وكذلك المناقشات حول الأفلام التاريخية كتاريخ. كما يسعى الكاتب إلى المساهمة في شرح مفاهيم الفيلم كفن وصناعة وتاريخ، وكيفية تقاطعها في التصوير السينمائي للعالم القديم. الكاتب لا يقصر عروضه ومناقشته على المصطلحات والأفلام التي أشرنا إليها في هذا العرض، إذ إنه يتعامل مع مجموعة كبيرة من أفلام أخرى ذات علاقة بموضوع المؤلف ومنها العائدة حتى إلى ثلاثينيات القرن الماضي وأربعينياته.

23 الخبار ■ العدد 17 شباط 2020 العدد 3982 ثقافة وناس



من فيلم «300»

إنها الحرب في هوليوود المعاصرة



من فيلم

«طروادة»